

أنفاسٌ أخيرةٌ

(نُصوصٌ)

مروة الإتربي

أنفاسٌ أخيرة

مرّوة الإترّبي

تصميم الغلاف: شريف الصّاوي

الطبعة الأولى: يناير / ٢٠١٥

رقم الإيداع: 2014 / 20731

الترقيم الدولي: 978-977-6463-14-1



مقام للنشر والتوزيع

هاتف جوال: 01112750799

الإيميل: Maqam.publisher@gmail.com

© جميع الحقوق محفوظة للنّاشر وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو في وسيلة سمعية أو بصرية دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمسائلة القانونية.

أنفاسٌ أخيرةٌ

(نُصُوصٌ)

إنها تُريد أن تَظَل مُشْتَعَلَة وَأَنْ تَحْلِمَ بِالماءِ .

أنيس منصور مُتحدِّثًا عن غادة السَّانِ

وعني دون أن يدري

أيتها المجنونة الصغيرة التي تُريد أن تُكَلِّفَ الدنيا عَلى إصْبَعِها والتي

تَمشي فَوْقَ الماءِ وتريد ألا تبتل قدامها الفَضِّيَّتانِ .

أمل دنقُل عن عبلة الرويني

إهداء ...

الليالي السوداء لا تهدى، ويصعب نسيانها، وجيد إن لم تستعاد

إلى الليل الذي غالباً ما يسعني ويسع حماقاتي ووسادتي التي لطالما بللتها
ليلاً، وحدها الشاهد على جريمتي الشنعاء في حق نفسي.

إلى المارين بليلى - سهواً - دون أن يتعمدوا ذلك أو يعلموا أنهم سبب
السهر والدموع.

إلى دُميتي التي لن تقرأ أبداً ما أكتب، لكن عرفاناً مني بالجميل وتحملها
إياي ما يقارب السبعة عشر عاماً أو يزيد.

حروية البريك

إِلَيْهِمْ.. الْقَاطِنِينَ بِالْقَلْبِ وَقُرْبِهِ

.

وإِلَيْهِ

تَهْيِدُ :

الأحداثُ نحنُ من نصنعُها وإن كانت بمُخيلتنا فقط

I

دَوْران



تَشْرِيقُ

مُفْتَح

ثُمَّ خَطَايَا لَا تَزُولُ آثَارُهَا بَأْنَ تَطَّهَّرَ مِنْهَا وَلَا أَنْ يُرَشَّ الْجَسَدَ بِبَعْضِ

الماء..

كَخَطِيئَةٍ قَلْبِي حِينَمَا رَاوَدْتَهُ نَفْسِي عَنْ حَبْكَ وَإِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةً بِالسُّوءِ لَمْ

يَتَسَنَّ لَهُ أَنْ يَقُولَ لَا..

لَمْ يُدَارِي سِوَأَتِّهِ، وَبَقِيَ عَارِيًّا تَمَامًا.. وَأَحْبَبُّكَ !

هَلْ أَغْفَرُ لِنَفْسِي؟ كَيْفَ؟ وَحَتَّى وَإِنْ فَعَلْتَ بَعْضَ الْأَوْزَارِ لَا تَذْهَبُ

آثَارُهَا بِمَجْرَدِ الْاسْتِغْفَارِ وَلَا أَنْ يُغْفَرَ لَنَا.

بَعْضَ الْأَوْزَارِ تَكُونُ قَدْ حَفَرْتَ لَهَا مَكَانًا بِدَاخِلِكَ وَتَشَعَّبَتْ جُذُورُهَا.

كَيْفَ الْخِلَاصِ؟

لَا سَبِيلَ..

والجذور التي بداخلك أثمرت وأينعت وحن حصادها وتساقطت
ثمراتها..

لا سبيل لإجهاض جنين فصل جبل سرته واستطاع أن يكمل الحياة
بعيداً عن أمه..

لا مفر.. وقد صار حُبك كائناً حياً مُنفرداً... يعيش وينمو.

- أَقْفُ عَلَى حَافَةِ الشَّكِّ، عَلَى بَعْدِ أَمْتَارٍ مِنَ اليَقِينِ بِكَ.

لازلتُ أجهلُ لم كل ما يربطني بك يحتملُ " الـ نعم " ويحتملُ " الـ لا " وآلاف الأعدار.

رَغِبْتُ ولو لمرةً فقط، قُلْتُهَا لذاتي بقوة، بعنفٍ، توقفي !

لن أحزن حينها، يكفيني أن أقف على أرضٍ ثابتةٍ صلبةٍ تتحملني.

يدورُ بخيالي " فقط " كلَّ يومٍ ألفِ نعم، أرسم لها في كلِّ مرّةٍ قصةً تؤيِّدها، وأشياء لم تحدث، وقد لا تحدثُ أبداً إلا في مُخيِّلتي.

الشُرودِ بِكَ مُتعة، الهذيان لك شهوة، وتعلقني بِكَ كل يومٍ كاد يسوقني للجنون، لكن لا بأس بذلك.

أَقْفُ عَلَى حَافَةِ حَدودِكَ، فلا أنتَ لي فأرتاح، ولا لغيري فأهدأ، ولا أنا لكَ فيعمُّ الفرح داري، ولا أنا لغيرك فأتوقف عن التفكيرِ بِكَ.

المأساة يا عزيزي أنني " قد " أكون غير مرئية لك، وأنا لا أرى سواك،
لربما تغضُّ بصرَكَ عني، وأنا أعْضُهُ عَمَّنِ سِوَاكَ.

وإن تشابهنا، وتشابهت طُرقنا إلا أننا في خطِّين مُستقيمين متوازيين حتى
وإن تعرَّجنا قليلاً لم يكن التعرَّج كافياً - لنلتقي..

١٥ ديسمبر ٢٠١٢

والكثير من الأمانى المعلقة على خطوطِ كَفَيْكَ..

- أوقن في قراره نفسي أني لا أحبه، وأوقن أنه لا يدري شيء عن فعلتي
تلك لكن هذا يبدو مُعْرياً بشكل ما ..

ربما يروق لي أن أشدو بأحرفي هنا وهُنا، ببضع كلمات أزيئها له في لحن
هادئ قد لا يسمعه أبداً، ربّما تُغريني حروفه، ربّما تستفزني للكتابة
تُعجّبي قامته الطويلة ، وجهته العريضة وعيناه العسليتين .

عروقي يديه تُغريني بلمسة أعلم جيداً أني قد لا أظفر بها أبداً حتى وإن
كانت كسلام عابر ..

لكن هذا لا يشغّلني ولا يُسبب لي إزعاجاً، بل أنني أزداد اشتياقاً
لاكتشافه ..

كمن يرحل لغابة استوائية ويظل في انتظار ما تجلبه له الرحلة وما تحبّاه
بل إن فكرة أنّي قد أعلم عنه ما لا يعرفه عن نفسه بل ما قد لا يتوقع أنّي
أعرفه عنه، وأنا بالذات، القابعة بعيداً عنه جداً وبيننا آلاف الجدران .

أن أحاول أن أقرأ ما بين حروفه، ما بين عينيه، ما بين ما يقوله وما يود
حقاً لو يقوله، ما بين ما وصل إليه وبين ما مازال يصبو إليه، بين ما
يتمناه حقاً ويخفيه .

تُعجّبي فكرة أن يكون مُلهماً لي، ولو لفترةٍ ولو لم يعلم عني شيئاً أو لم
يرني أبداً ..

كيفَ يتسنى لي أنْ أعبرني؟ ثم أعبرك..

ثم أصلُ إليك؟

- ها أنا ذا اعترف.. أتِي أريدك..

لكني لا أستطيع أن أبرح مكاني أو أن أتعرّى أكثر، ربّما لو كنت سرابًا لما
حزنت لأني أوقن منذ البداية أن لا أتركك، أو لو كنت فراغًا لشغرتك
وما خفتُ فقدانك، لو كُنْتَ لغيري كنتُ سأعصم الفكرَ عنك، أو لو
كنتُ أقربَ لكنتُ غازلتُك وجهاً لوجه لا من وراء حجاب، لكنك
غريباً وأنا لا أزال في رحمِ الحُلمِ أن يجمعنا حديثَ عابرٍ ومقعد خشبي
نتقاسمه..

لم أكن لأطمح بأكثر من عبورك بي ولو سريعاً، تسمع لحني الواهن..
وتُربّت على كتفه.
وها أنا ذا أغار..

وأثور، ويبلغ الأمر مبلغه معي كأني كائن بدائي وأجلسُ على المقعد
الخشبي - وحدي - يُحدق بي المارة وأنا أحدق بمأساتي معك أيها الشَّقِي
الذي لا يدري عني شيئاً، تزداد وطأة الشوق عليّ أخرجُ مرآتي أحدق
بوجهي... فأراك فابتسم.

وأغمض عيني على أمل مُعلّق بأنك يوماً ما قد تراني في وجهك..
سأكون حينها بانتظارك، فاتحةً ذراعِي على أقصى امتداد لها
أخيراً عاد الغائب إلى بيته، وعاد الجزء الناقص مني إلى.

فَلا أَنَا طَرَقْتُ البَابَ، وَلا أَنْتَ شَعَرْتَ بِي

ففتحت..

- صار لازماً عليّ أن أتخلص منك، والآن. الآن ليس غداً أو بعد غد
كان عليّ أن أعني بمليء حواسي - لا - بعضها أن لا رجاء منّا ما لم
نُحدث أي ارتطاماً.

لأن الغيوم تُمطر عليّ - وحدي
وكل دقات قلبي التي تُردد اسمك تُردها وأنا - وحدي
وأني أبكي بالليل - وحدي
ولأني حين أتوقف عن حبك الآن سأحمل خيبي - وحدي
أرأيت إن اتبعْتُ هواك ماذا سيحلُّ بي؟
سأتوقف عن حُبِّك الآن

وأعلمُ جيداً أنه قرار سريع قد أرجع عنه..
وأن كلام الليل يمحوه الصباح..

وإني ضعيفة جداً أمام ضوء عَيْنِكَ.. وأن الحياة بك أفضل.
سأتوقف عن حُبِّك اليوم، وعن الكتابة لك وعنك اليوم أيضاً..
لكنني وعلى أغلب الظن، لن أفعل غداً.

٩ يناير ٢٠١٤

- اليومُ أنا حزينة ...

لا أريدُ أن يسري إليك الشكُّ أن الأمر مُتعلِّقُ بقرارِ أمس، بل كُنْ عليّ يقين..

كُتِبْتُ في ذاتِ مرة.. "الغريبُ أن تخاف أن تفقد ما لم تمتلكه يوماً"
أنا لم أمتلكك من الأساسِ ولم أفقدك ولم يحدث أي شيء من تجاهك
يوحي بأي شيءٍ سواء كان إيجابياً أو سلبياً، لكن قراري ألني وموقفك
يزداد سوءاً ويزيد الأمر سوءاً والدائرة كل يوم تزداد ضيقاً تكاد تكتم
أنفاسي

الآن.. أنا أبكي.. ولا دموع..

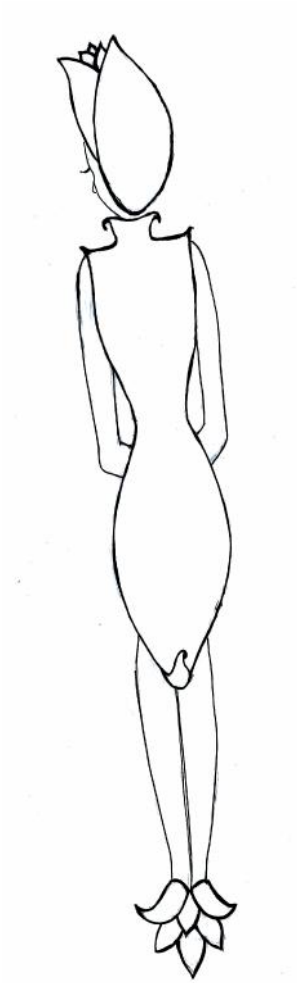
لكن القلب ينفطر آلاف المرات في الدقيقة، آلاف الدموع تتسرب مني إلى
باقي الجسد، ليعلن إتحاداً وتعاوناً مع القلب ..

الآن.. أنا وحيدة تماماً..

ولن يستطيع أحد أن يتشَلَّني من الوحدةِ سواك، ولن يستطيع أحد يُبدل
دمعي فرحاً سواك، ولن يستطيع أحد أن يُرمم كل المهجور داخلي..

سواك

وأنا لن أعطي المفتاح.. أبداً.. لسواك..



والحمدُ لله الذي وهبني حُبك

على الكبرِ ..

رباً لو كنتُ أصغر

ما تحمَّلتُهُ ..

- أنا طفلة واقفة على أعتابك خائفة.

هل ستردني؟

أنا الطفلة الصغيرة القصيرة، التي يفصلها عنك حوالي العشرون سنتيمتر
طويلاً

وآلاف الكيلومترات مسافة، ومئات الجدران والحواجز من امتداد الحياة
أنا الطفلة الكبيرة العالقة بخيوط العنكبوت الواقعة حولك ورغم كبرها
إلا أنها لم تنجو منها.

أنا الطفلة الحزينة، الفرحة حد الموت، ذات الضحكة العالية والدموع
الحارقة، المتفائلة حد القفز من على جبل، البائسة حد البكاء كل ليلة..
الجريرة جداً، الخجولة في حضورك.

أنا الطفلة التي تخاف قربك، وتريده في ذات الوقت .

أنا الطفلة القديسة التي تدعو باسمك في محرابها دوماً، الفاجرة التي قاب
قوسين أو أدنى من أن تصرخ بوجهك معلنة عن حبها لك أمام العالم.

ووهنَ الفِكرَ مِنِّي .. واشتعلَ القلبُ عِشْقًا



- وحيدةٌ أحاول أن أتخفف من ثَقَلِ الحبِ على قلبي، أسيرُ بتعرجٍ
وأعرجُ على زاويةِ النسيانِ المظلمةِ داخلي.

أوقدُ الضوءَ..

المكان يسعني، لكنه لا يتسع لما أحمل، يبدو أنني قد نسيْتُ أنه بالنسبةِ
لامرأةٍ مثلي ذاتِ ذاكرةٍ حديديةٍ نوعاً ما يجب أن تمتلئِ زاوية نسيانها على
آخرها بما أرغمت نفسها على نسيانه أو تناسيه.

فأحملُ أوزاري كاملةً وأرحل.

ثقلُ محبتي مهما واريتها عن الأعينِ أو بحثُ به أو تناسيته، فالأثر لا يزولُ

أثخبطُ بين جدرانِ العقلِ عليّ أجدُ مخرجاً مما أفحمتُ نفسي به بكلِ حماقةٍ

ولا أجدُ.

محاولةُ عابثةٌ لتجديد نيتي للنسيان..
أليست الأعمال بالنيات؟

- اليوم..

تبدو الحياة كما السابق، لا يشوبها أي شيء من رحيقك ولم أعد أميز
أنفاسك في الهواء، ولم تعد تزرني في الحلم، ولم يعد يتوقف الزمن في
حضورك..

لم أسأل عنك، ولم أحاول معرفة أخبارك..

ولم يُثرنِي أن أرى إحداهن تتملقُ لك.

لم أعد أغار... أبداً..

حتى أنني لم أتحدث عنك لأيٍّ من صديقاتي، ولم أتحرى أي إشارة قد
تقودني إليك.

حتى إن قلبي لم يعصف عندما رأى اسمك أو سمعته من أحد.

اليوم، لم أعد أرى أننا متشابهين أبداً، بل إنك أصبحت لا تروق لي، ولم

أعد أفكر بك من الأساس..

استطعت أن أنتزعك من عقلي... أخيراً..

اليوم..

أنا كاذبةٌ جداً...

- والوشاية الآن على أشدها رغم أن كل الظواهر معاكسة للطبيعة
ورغم آلاف الآمال .

رغم أن الأمر من الأساس ليس مهيئاً..

الحياة المملوءة بنا تبدو رغم الصعاب مغرية لقلبي، لعقلي، لعيني.

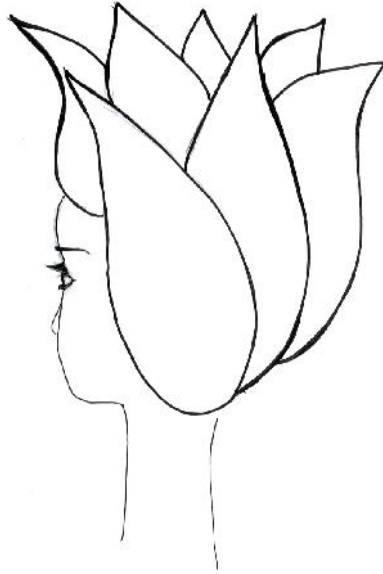
ولأن الحياة بك أفضل من الحياة دونك رغم الغموض المستوطن حولك

لأنك مغامرة، تستحق أن أخوضها ولن أحزن إن خرجت منها خاسرة
فيكفيني شرف المحاولة.

يكفيني أنني قررت أن أخوضها بكل شجاعة وإقدام وأني اتجهت صوب
ما أريد دون أن آبه بأي شيء قد يبدو مريباً.

لأننا نحيا مرة واحدة، وهناك فرص تأتي مرة واحدة، لأن الحياة لا تنتظر
من يظل واقفاً مكانه لا يحرك ساكناً في انتظار أن تأتي الرياح لتحمله إلى
حيث تريد.

لَمْ تُؤَلِّ شَطْرَكَ نَاحِيَّتِي أَبَدًا



- ولازلتُ أراكِ وغداً جميلاً، استطاع أن يُسقطني في شبابه بكل مهارةٍ
وبأقل مجهودٍ منه دون أن يعلم، ودون أن أحاول الاعتراف بذلك من
الأساس..

لازلتُ أراكِ وغداً شاعراً، يتقن الحرف جيداً، يتقن الوجدع جيداً، ويتقن
الصمت جيداً..

وأنا أجيدهم ثلاثتهم.

لازلتُ أراكِ وغداً طفلاً صغيراً يضجر سريعاً من دُماه، ويخاف جداً إن
غابت أمه عن عينه..

ويخشى والده ويتربح أن يصبح رجلاً كبيراً عظيماً مثله.

ولازلتُ أراني أمك التي لم تحمل بكِ في أحشائها، لكن حملت بكِ بقلبها
لازلت في أشهر الحمل، لم ألدك بعد، طالت مُدتي عن الحد، تضخم
القلب عن الحد..

لازلتُ أخاف إجهاضاً قد يُلمُّ بي بعد كل ذلك.

لازلتُ أراكِ وغداً طبيباً رقيقاً رغم كل شيء، فأخافُ عليكِ جداً،
وأخافُ على قلبك جداً.

وَمَتَى أَرَى الشُّرُوقَ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ؟

- إنها الحادية عشرة والنصف بتوقيت الليل، الخامسة فجرًا بتوقيت قلبي..

الآن..

أنا وحيدة تمامًا.. إلا من عينيك..
وبعضٍ تمتتاتٍ أذكرها بصوتك، لا تُسْمِنِ ولا تُغني من شوقٍ..
وصورة عالقَةٍ بذاكرتي تأبي أن تُنسى..
لكنها كل ما أملك، وأغلى ما أملك..

إنها الثانية عشرة بتوقيت الليل، الخامسة والنصف فجرًا بتوقيت قلبي لا شيء لدي، عينك وصوتك وصورتك لازالوا حوي
عينك هما الضوء الوحيد في الظلام الذي يُحيطُني وصوتك يرن في أذني في الهدوء الشديد..

صورتك محفورة بالذاكرة، بالعقل، لا أدري لها حلًا..
إنها الواحدة بتوقيت الليل " أو الصباح " السادسة بتوقيت الشروق في قلبي

يبدو أنه لا فائدة، سأذهب لأتوضأ وأصلي، وأقرأ آية اليوم..

" آتيني اليوم " لا تدري لعل الله يُحدث بعد ذلك أمراً "

إنها الواحدة والنصف صباحاً، السادسة والنصف بتوقيت الشروق في قلبي

في سريري أحاول جاهدةً أن أنام و ألا أفكر بك لا أدري من سينتصر .

إنها الخامسة فجراً، الحادية عشرة صباحاً بتوقيت قلبي ..

إنه الفجر .

دعوتُ لك ..

إنها السادسة صباحاً .. أحاول أن أنام ..

إنها السابعة .. ولازلت أحاول النوم ..

إنها الثامنة .. لم أنم بعد ..

إنها الحادية عشرة صباحاً ..

كنتَ معي في الحُلُمِ

ويا أَسْفِي عَلِيَّ

هي فقط آلام المخاض تُراود الشيء القابع والنابض في صدري

بحجم قبضتين من يدي المسمى قلبي

ثمة نزيف داخلي وحمل دام ما يقارب العام ورغم ذلك لم يُجلب

حتى ولو مُضغّة

ثمة حمل لا يُخلف شيئاً..

ثمة نزيف بلا قطرات دم..

ثمة حمل خَلَفَ كسر وانكسار وتبُّس..

كنتُ أراك.. فأرى قدرى ماشياً أمامي..

هل كانَ عليَّ اللحاق بك.؟

أنفاسٌ أخيرةٌ..

- ما قبل الوداع بقليل..

أتأمل ملامحه لمرّةٍ أخيرةٍ، لمرّةٍ مُحلّلةٍ وشرعيةٍ
أتلوا ما كتَبَ عَلَيَّ مَسَامِعِي مرّةً أُخْرَى وأتساءل
هل كنتُ المعنية بتلك الحروف المُنزِعِجَة؟
ولأنّ حالتي معه منذ البداية وهي منحصرة ما بين النعم واللا
فلم أكن أدري أيّ منقلبٍ انقلب إليه..
لكني تلك المرّة أُرْجِحتُ كفة النعم.. وإن كان لا بُرْهانٍ على ذلك.
قلت نعم، أنا المعنية بتلك الحروف..
وغز في القلب..
دمعة ترفض أن تسقط، فتغرق العين في الدموع..
أقول بعزم:

لا بأس، قريباً ينتهي كل شيء.

١٠ مارس ٢٠١٤

كَانَ عَلِيٌّ أَنِ أَقْتُلُكَ حِينَمَا شَعَرْتُ بِكَ تَسْرُبُ دَاخِلِي قَبْلَ أَنِ تَتَفَاحِلَ

هكذا...

- غداً صباح جديد..
تُشرق فيه الشمس عليّ - وحدي
ولا تأتيني صورة عينيك مع أشعتها، ولا تستحيل زقزقة العصافير
لصوتك
وتختفي كل التحولات والمعجزات التي كانت تحدث بعصاك السحرية
دون علمك ودون أي إرادة منك..
غداً صباح جديد وأخير..
أودّع فيه ما أحتلجته نفسي إلى مثواه الأخير..
رتبت كل شيء وكل أدوات الجريمة ولن يُساور أحد أي شك
فأنا القاتل والمقتول والجاني والمجني عليه..
أنفذ انتحاراً يُبقيني على قيد الحياة..
في الليل، يتم كل شيء الليل يستر كل شيء..
مُسدّسٌ كاتم للصوت، وأي شيء أغلق به الفم فلا يصدر نحيباً أو
صراًخاً.. طلقة واحدة للقلب.. وينتهي كل شيء..

أَحِبِّتْكَ..

ذات خَيْبَةٍ وَوَجَعٍ اسْتَأْثَرْتُ بِهِمَا فِي عِلْمِي فَقَطُّ!

- ويجب عليّ الآن أن أحمي آثارك من بين أحرفي التي لن تقرأها أبداً
والتي حتى وإن اقترفت ذلك الإثم لن تسول لك نفسك أنك المعني.
الآن.. أنا حرةٌ تماماً..

ولاستكمال شعوري بالاستقلال أصبحت أوقن أن دورك في حياتي ما
كان إلا " مُلهماً " كان له الفضل والشكر العظيم على غزير الحروف
التي أمطرتني به روي كروي عنك..
الآن..

عدت كما كنت لا عزيز لدي ولا أي غالٍ ولا يحتل أحد مكان من
القلب أو يمر بقربه.
والعقلُ شاغرٌ تماماً إلا من بعض أفكار متزاحمة عن مستقبل مجهول..
إلى هنا.. انتهى فصل المسرحية.
عذراً لو كان العرض قصير جداً.

لنقلب الصفحة...

١٢ مارس ٢٠١٤



دوائر معلقة

مُفْتَح ..

نحنُ الواقفون سهوًا في منتصف الطريق، خلف الأبواب المغلقة
عمدًا

العالقون عند المنعطفات لا يمينًا ولا يسارًا...

المتنظرون لما لا يأت، المعلقون بحبالٍ من خيال.

المسجونون في مصابيح لا تضيء.

الذاكرون لمن ينسوننا..

المهمشون دون أثر يُقتفى.

الخائفون من الاقتراب، العاجزون عن الابتعاد.

الصامدون في وجه الليل

العائدون من الخيبات، والذاهبون إليها.

- من أين ترتسم البداية؟

الدوائر لا بداية لها ولا نهاية، تطوف بها، تتوه، تُعيد خُطاك أحيانًا كثيرة
بلا جدوى.

وحدها الألحان الحزينة تكون مُسكرة ومغرية لاقتراف كتابة، وكأن
اللحن السعيد لا يُلائمها.. أهي فعلٌ حزين فلا يجب اقترانه بالسعادة؟
على كل الحزن يُلاءم الكُتاب.. أكثر..

من نقطة مُجاورة في الدائرة تبدو الأمور في حالة مُختلفة تمامًا..

ما يترأى لي أن بعض الشئون لا تملك خيارًا فيها، فإما أن تقلق، أو أن
تقلق، مهما حاولت أن تواري سواتك وعدم مُبالاتك أو اكتراثك
بالأمر، ربما لأهميتها، أو لأنك تدرك فداحة الأمر وأن بعض الأشياء
كبعض الظواهر الطبيعية التي لا تتكرر إلا كل مئة عام أو يزيد، قلقك
يزيد اضطرابك لا إرادياً، بداخلك ترى رؤى الشمس أن قلقك لن يزد

من سرعة ما يحدث حولك، ولا سيجعلك تخرج من دائرتك أو يترائى
لك ما لا تراه..

الزمن كفيل بكل شيء.. دائماً هو كذلك.

من نقطةٍ أخرى في الدائرة تجري الأحداث بشكل مختلف كلياً..

الإشارات التي تُداهمك لا تدري هل هي مُتربصةٌ بك أم أنت مُتربصٌ
بها تُدخلك في حالةٍ من الفوضى والارتباك.

دائرة العبث التي أقحمت نفسك بها، ما بين ما قد يُحسب إشارةً، وما
بين لا.. ما هي الإشاراتُ بالأساس؟

ليست الأمور كما تبدو أغلب الوقت، لأن البصيرة بالقلب لا العين قد
لا تحتاج إلا لإطلاق سراح بعض الأحلام قليلاً أو أن تُخفيها عن أعينك
إلى أن تظهر من تلقاء نفسها..

- من دائرة أخرى دورانٌ مختلفٌ ..

الدائرةُ الأكثرُ سخافةً وبؤساً، أن الذين يحملون بين أضلعهم حباً لك لا

تحمل لهم إلا شعور بالإمتنان، ومن تحمل بين أضلعك حباً لهم لا

يشعرون نحوك إلا بالإمتنان أيضاً .. فقط.

ماذا لو أبصرك العالمُ أجمع .. ولم يُبصرُك من تحبُّه؟

ستبتلع كل لطفهم معك كشوكٍ يجرح كل ما يمر به، نحن لا سلطنة لنا

على مشاعرنا ولن تتجه.

كل الذين سيحاولون الاقتراب منك لن يصلوا، كل معسول الكلام،

كل الهدايا، كل الاهتمام .. لن يُحرك داخلك أي شريان ولن يجعلهم

يقربوا ولو مسافة دقة من قلبك.

سترى أنهم أشخاصٌ لطفاءٌ جداً، ستمتن لهم جداً ..

لكن - لن - تشعر بشيء ولا سيعم قلبك فرحةً بما تستقبله منهم،

ستقف صلباً، خيبةً تُحيطك من داخلك ومن خارجك، ومن ثم قد

يغدو الأمر لأن يصبح حملاً ثقيلاً عليك ..

فتفرُّ هارباً منهم ..

في الثانية صباحاً .. تستيقظُ الخيات

- من دائرة زُجاجيَّة ذات حوائط مغطَّاة بالمرآيا
سيتوجب عليك أن تأخذ فَوْضاك ووحدةك
وترحل بعيدًا.. لأن المكان ليس لك.

لأنك الوحيد، الغريب بينهم، بلا حبيب ولا قريب ولا صديق، قد
تكون قريبًا لكن يبضع أحرف ليس أكثر..
لكنك ستظلُّ البعيد دائمًا وأبدًا كالبدْرِ في تمامه وحُزنه، كالبدْرِ في برودته
ووحدةه.. في ضيائه وخفوته.. كاقترابه وابتعاده.

الليل يأتيك جالبًا معه القليل من الحُزن في انتظار لردة فعلك فإما أن
تستجيب له فاتحًا ذراعاك على اتساعهما غير أمهًا بما قد يلمُّ بك وأنت
تعلم جيدًا أن القليل الآتي به لن ينتهي الليل وهو بذات الحجم.
فالقليل ذاك، سيصيرُ كثيرٌ وربما الكثير جدًّا، على قدر مدى حفاوتك
واستقبالك له فتأكد حينها أنها ستكون ليلة ماطرة عليك.
وعليك وحدك.

لا صوت سوى نحيبك وأنفاسك المتعالية وصوت عقارب ساعتك
ليذكرك أنك وحدك تمامًا وأن الوقت يمضي ولازلت وحدك أيضًا.

ليؤكد لك أنه الصوت الوحيد الذي يستمع إليك الآن.

- من دائرة البدايات و على أعتاب العام الجديد ماذا عليك أن تفعل؟
سيُمر بتفكيرك عام مضى بكل ما به من خيبات وأزمات من صدمات
ورنوش بالقلب وعابري قلوب أو بمحاذاته..
سيُمر بخاطرِك كل كبوة وكل فشل وكل عشرة تعرّضت لها وكل خذلان
والم.

على أعتاب العام الجديد ستذكّر اللحظات الجميلة التي لن تكون غالباً
سوى لحظات وكلّ على حاله أو ما تيسّر له.
هناك لحظات يبقى أثرها أبداً، وهناك لحظات تدوم لحظات فقط.
على أعتاب العام الجديد عليك أن تُسرّع الخطى إن كنت بطيئاً وأن
تُبصر إن كنت لا ترى، وأن تشرع في البدء إن كنت متردداً.
أعتاب العام الجديد ناقوس للعمر، ليذكرك ما ذكرت وما نسيت أن عام
مضى من عمرك وأنت كبرت رغم أنفك، وأن ما قد كان قد لا يكون
مُجدداً، وأن الحياة تستمر رغم قسوتها ورغم الفقد.
وأن الوقت الذي يمضي لا يعود، وأن ما لم تُنجزه الآن قد لا تستطيع
إنجازه فيما بعد.
وأن لا مزيد من أحلام مؤجلة.

ايناسير ٢٠١٤

- في دائرة أخرى كان ثمة ثلاث دوائر متقاطعات، لا يفترقن عن بعضهم، مُتكاملات..

كان ثمة دائرة انتظار لا تنتهي، قطرها كبير، لكن دورانك بها لن يستغرق وقتاً، ما إن تبدأ لتنتهي، تضيق أحياناً لتكتم الأنفاس لا مخرج منها ولا معبر، ولن نكف أبداً عن انتظار من / ما لا يأتي. الدائرة المجاورة حد الالتصاق هي الترقب، أن تترقب شيء يعني ألا تتمتع بأي شيء، دائرة الترقب مقيته ودرجة حرارتها عالية وإن كنت في جو عاصف ستصعب عرقاً.

في الدائرة الثالثة.. كان ثمة خوف.

دائرة الخوف ما هي إلا سجن ارتضيته لنفسك، واخترته بكامل قواك العقلية، فحرمك كل ملذات الاستمتاع، وسرق منك نشوة السعادة لأنه سيعكر صفوها - دائماً.

ثلاثتهم مُتلازمات، وكل واحدة تطلب الأخرى تباعاً، إن تفرق من حولك واجتمعوا عليك في ليلة فلن تنجو بسهولة، الدوائر ستقيدك في مكانك وإن كنت في جوف الأرض، أو في أعالي السماء، لن ينقذك أحد..

إلّاك.

تَهْرُبُ الكَلِمَاتِ مِنَّا أحيانًا حَتَّى وَإِنْ كُنَّا قَدْ عَقَدْنَا
مَعَهَا صِدَاقَةَ تَهْرِبِ الأَفْكارِ أحيانًا أُخْرَى وَإِنْ كُنَّا
نَثِقُ فِي عَقُولِنَا جَدًّا.

- كل الحروب التي تدور في دائرتك الخاصة في المحور الأفقي من عقلك
لن يستطع أحد أن يتخيلها، كل الصراعات التي تبدأ من لاشيء،
وتنتهي بلا شيء لن يكون هناك خاسراً أو مُنتصراً -سواك.
الأفكار المتزاحمة في عقلك تتداخل بشكلٍ يسبب لك شللاً يحيل دون
أن تفصل فيما بينها، الفوضى التي تعمك تكاد تبتلعك، وفي خضام
هذه الفوضى يتحتم عليك أن تقتنص أقصى ما تستطيع وأن تصوب في
الوقت المناسب قبل أن ترحل شاردةً بعيداً.

من الفوضى داخلك، وانسداد الطُرق أحياناً وتعرجها، وصعوبة
الوصول، واستحالة الرجوع.

إما أن تمضي نحو الهاوية بخطوات ثابتة وإما أن تبقى مُتصلاً مكانك
كالصنم لا أنت إلى الأمام ولا أنت إلى الخلف.

تعي بمليء عقلك وحواسك ومداركك كلها أن بعض الفرص إن
سنحت الآن فقد لا تسنح بعد ذلك.. أبداً.

- من دائرة الليل ليلة أخرى يأبي النوم فيها أن يُصاحبني ولو
للحظات فقط لازال العداء بيّني وبينه مُستمرًا وفي تزايدٍ أحيانًا، وكأن
هناك ثأرًا ما، عقابًا ما..

الدائرتان الأهم والأكثر تباينًا وصراعًا على السُلطة دون غيرهما،
اللتان لا تتقاطعان أبدًا، والسبب الأكبر لكل الإنزواءاتِ النفسية..
العقل والقلب..

العقل دومًا ما يخطو في اتجاه، القلب يخطو في الاتجاه المعاكس دائمًا وأبدًا
وما بين الاثنين .. تحدث الفوضى.

القلبُ غالبًا ما يكون الجانب الأضعف، العقل طاغٍ بشكلٍ ملحوظ،
لكنه مُقلق وتتوه أنفاسك بين الاثنين..

وكأنّك تسيرُ متاهةً من نارٍ، فلا تدري أي اتجاه تسلك، لا اليمين آمن
ولا اليسار..

- من دائرة القلب، على بُعد سنتيمترات من الأسي تقطن بؤرة
التورطات التي تسعى إليها بنفسك، التورطات التي لا نجاة منها،

كأن تُدرك ما آلت إليك مشاعرك و مدى تورطك مع شخص لا يدري
عنك ولا عن مشاعرك شيئاً، بل يجب أن تكون شجاعاً و تَلْفِظْهَا رِغْمَ
أَلْمِهَا..

" لا يراك "

من بين الآلاف توجَّته واخترته ليكون خذلانك القادم، كأن تكون قد
استكثرت عليك أن تنعم بفترة بلا أوجاع..

تكون مصيبتك مصيبتين إن كان ما تريده هذا قابلاً أمامك أغلب الوقت
لُعلن بذلك تحدياً ظاهراً لك ومعاناة أكبر.

الإنسان من يُتَعَس نفسه بنفسه أحياناً !

تبدأ الدائرة ذات الاتجاه المعاكس بطرح تساؤلاتٍ تُشقيك أكثر..

في كل الأحوال لن تجد إجابة شافية، بل إن كل الإجابات التي قد

تجدها لن تكون مُبررة أمام سطوة القلب..

لن يكون سؤالاً مُقنعاً أبداً إن سألته لنفسك وقلبك

" لمَ هذا بالذاتِ ؟ "

وفي كل الأحوال لن تجد إجابة إلا أن تعطف عليك وأخبرك قائلاً

" لأنه هوَ " واضرب رأسك بأقرب حائط تجده.

يؤلمنا فقط ما نحلم به ولا نستطيع تحقيقه أو الوصول إليه كغصّة فالقلب

تنمو كل يوم بلا أمل.

وأنت تعلم جيداً أنه إن جاء موعد الحصاد سيكون اقتلاعها من الجذور

مأساوياً.

سؤالٌ عابرٌ : ألن تتوقفي عن الكتابة؟

إجابةٌ عابرةٌ : لا أدري..

لأني لا أدري متى تتوقف الكتابة عني.

- من الدائرة الضيقة الأكثر اتساعاً ذات الألفِ قَطْرِ بلا نقطة ارتكاز
واحدة، من محورٍ مُخالفٍ تماماً..

أن تُمارس الكتابة يعني أن تلهو بنارٍ لن تحرق سواك.. الكتابةُ فعلٌ
مُرهِقٌ حتى أنك قد تشعر بأن روحك قد استنفذت..

أهي كذلك لأنها فعلٌ مُرهِقٌ؟

أم لأن ما نكتبُ عنه هو المُرهِقُ؟

أم لأننا نُبثُ فيها من أرواحنا فيخرج منا جنين ما، أشبه بولادة ما

خَلق شيء.. من شيء..

يأتي المولود الجديد مُشابهاً لمن ولده بشكلٍ أو بآخر دائماً ستجده كذلك

هل لأن من نكتب عنهم أحياناً ما يكونوا ذوي القربى، ذوي المكانة

الأكبر، ذوي الجرح الأكبر، الوجد الأكبر.

فُيُنَحَّتْ وَيُنَخَّرُ هَذَا فِي الرُّوحِ، فَيَصْبِحُ إِخْرَاجُهُ فِي هَيْئَةِ حُرُوفٍ أَشْبَهَ
بِإِخْرَاجِ نَصْلِ مَنْ جَسَدٌ دُونَ أَيِّ أَدْوِيَةٍ مُخَفَّفَةٍ لِلوَجْعِ !

أَمْ لِأَنَّنا أحياناً ما نكتبُ عن خيالاتنا الكُبرى، فنصبحُ كتابتها تأريخاً
يُذَكِّرنا دوماً بالثقبِ الذي أحتل القلبَ يوماً ما وإن تم ردمه.

أَوْ لِأَنَّنا أحياناً نكتبُ عما يَنْقُصُنا، فنصوِّره في حروف، ونُحسِنُ التصويرَ
فيحسدنا الآخريْنَ عليها، ونصيبنا الحسرةَ كلما قرأناه لأننا نعلم جيداً
أنها محض حروف، ليس أكثر.

مرهقة لأننا نحاول أحياناً التخفف بها من أحمالنا، من أوزارنا

فَتُثْقَلنا..

ونحاولُ جَاهِدِينَ أَنْ نَشْغَلَ حَيَاةً مِنْ فَرَاغِ الْعَالَمِ

- من دائرة بعيدة لكن مُشابهة .. أكتب في مفكّرتي

I Need a life ، وبأتمّ الاقتناع ، فما أحيأه الآن بالتأكيد ليس بحياة
أبدًا .

أن تمارس ما اعتدت عليه كالتنفس والأكل والشرب لا يعني أنك حيّ،
أن تتنفس، أن يعلو صدرك ويهبط .. ربما يعني هذا أنك على قيد الحياة.

" قيد " ولستَ حيًّا ..

والقيد قد يكون المقصود به أنه قيد التحقق " أي أنها على وشك التحقق
والحدوث .. " ولم تتحقق بعد.

أو قد تعني أنه القيد الذي يجبس الإنسان ويقيد به ويعيقه عن الحراك أو
العيش كما يجب.

والمعنيين أسوأ من بعضهما البعض ..

الحالة ضبابية الآن.

أحاول أن أتخلص مما أحمله على ظهري من تفاصيل قد تعني وقد لا تعني
شيء لأبدو أخف، أسرع .. وأكثر قدرةً على المواجهة .

لازالت الحياة على الرغم من اتساعها إلا أنها ضيقة ومازال الطريق لم يبدأ بعد.

نحن بحاجة للتخلص من كل ما يُثقل أرواحنا، لتقليص اللون الأسود الذي بدأ ينخر بنا ويتسع قُطره..

نحن بحاجة لإزالة كل الرواسب التي علقت بنا على مدار الأعوام وإعادة بناءً أو ترميم ما كُسِر أو تهشم إثر ارتطامات الحياة.

نحن بحاجة للتخلص من كل الأوراق المعلقة وإغلاق كل الأبواب المتواربة أو فتحها على مصراعيها..

نحن بحاجة لأن ننظر للأمور نظرة أخرى، خارجية عن الدائرة التي أقحمنا بنا أنفسنا بها..

ونظرة أخيرة مُختلفة عن كل ما سبق..

نحن بحاجة لكل ذلك..

وأنا أيضًا.

II

سَمِعِ اللّٰهَ مِنْ حَمْدِهِ

مُفْتَحٌ ..

مُتَنِّةٌ يَا اللَّهُ، لَأَنَّكَ رَغِمَ ذُنُوبِي الَّتِي أَعْلَمُهَا وَالَّتِي لَا
أَعْلَمُهَا، أَسْتَأَثِرْتَنِي بِزِيَارَةِ إِيَّكَ الْهَرَامِ، لَأَنَّكَ فِي كُلِّ
مَرَّةٍ أَشْعُرُ بِهَا أَنَّ الْحَيَاةَ مُرَّةً جَدًّا مَا تَلَبَّثُ أَنْ تُحَلِّيَهَا لِي ..
لَأَنَّكَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَذْنِبُ فِيهَا وَتَعَاقِبُنِي تَعَاقِبُنِي بِمَا اسْتَطِيعَ
وَلَا تُحْمَلْنِي مَا لَا طَاقَةَ لِي بِهِ ..

مُتَنِّةٌ يَا اللَّهُ لَأَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ .

- فهل يغفر الله لنا خطايانا حتى وإن عَلِقَتْ آثارها بالروح؟

كيف يغدو بينك وبين المعصية أقل من دقائق؟ وكيف يتبعك ندم في

اللحظة التي تليها؟

يحدث أحياناً أن تُذنب فتدرك أنك لست بعيداً عن المعصية وما كان

يمنعها عنك سوى الله.

وأن افتخارك بذاتك وصمودك لا يعني شيئاً وأن تعاليك على من هم

أقل منك طاعة وإن كان تعالياً بسيطاً أو داخلك فقط لا يجوز ولا

يصح ..

وأن كل ما تراءى لك كان خطأ..

وأن ثباتك وابتعادك عن المعاصي كرم من الله عليك وليس منك

يحدث أحياناً أن تُذنب لأنك بحاجة لأن تعود إلى الله..

- وأقول.. سأخبر الله بكل شيء..

عن الخذلان والألم والأرق والهموم..

عن كل ما كان يؤلم..

عن كل أمنياتي المؤجلة، وأحلامي التي فارقتني كرهاً، وطوعاً أحياناً،

عن أنني كنتُ أحلمُ بحياةٍ فقط ليس أكثر.

سأخبره عن كل التواءات التي أصابتنني بأحاديثهم، وكل الخدوش

العالقة بالقلب بسببهم.

وعن الغياب المُفتعل، والحضور كسراب، عن الاقتراب السريع ثم

الابتعاد الأسرع.

عن البوح الذي يؤلم، والذكريات التي لا تُنسى، وعن ضمةٍ لم أُنلها

فأرقتني طول العمر.

سأخبره..

ولأنه الله..

فلا حاجة لبوحٍ مسموع، ولا حاجة لي لبشرٍ، هو عليمٌ بذاتِ الصدور

يكفيني أن أناجيه فقط.

لا حاجة لي بتبريرٍ فعلٍ لم أقصده، أو نيةٍ مُحتسبٍ عليّ ظلماً وعدواناً.

لا داعيٍ لشيء..

لأنَّه اللهُ أدركُ جيداً أنه هو بي هيّن، لأنَّه بثَّ فيّ من روحه، لأنَّه لا ملجأ لي
إِلَّا إليه.

ولأنَّه اللهُ، ولأنَّه بيده كل شيء لا أستحي أن أطلب منه شيء وإن كانت
أشياء قد تبدو بسيطة، لأنني معه لا يكون لي حاجة لمخلوق..
ولأنَّه اللهُ لا حاجة لي لمخلوق ليكون وسيطاً بيني وبينه.
لأنَّه اللهُ..

فأنِّي لا أخجل بأن أشعر بضآلتي أمامه ولا أشعر بمرارة إن ألحْتُ عليه
بطلبٍ ما..

ولا انكسار، ولا خوفٍ من كسرةٍ أو خذلان.

لأنَّه اللهُ.. فإن عافيته دائماً.. هي أوسع لي.

- يسود الظلام..

فیربت الله علیٰ کتفی بأحدٍ من عبادہ، تصلني یدہ من أعلى السہاواتِ
السبع

لا تخافي ولا تخزني..

فیلوح لي من بين دموعي نوراً في الأفقِ وما أكادُ أقرب حتى يزدادُ
سطوعه

يسودُ الظلام، فينامُ الناس والله لا ينام، وتبقى دعوةٌ متحجرةٌ في حلقي
أخاف أن أدعي بها وأخاف ألا أدعو بها..

فيرسل الله لي من يبصرني بما لا أعلم، فيرتاح القلبُ ويهدأ..

يسود الظلام..

وأخافُ كثيراً كثيراً لأني وحدي .. ولأن ظلام القبر أعظم.. فيذكرني
الله بأن رحمته أوسع..

أمنحني القوة يا الله، وهب لي من لدنك صبراً وبصيرة..

هيب لي يا الله ألا أطوع إلا في طاعتك..

III

عَابِرُونَ

« ثَمَّةَ آلام من الفراغات التي لا يقطنها أحد »

لوركا



مُفْتَحٌ..

إنهم يعبرون خارجين مني الآن، أراهم واحداً تلو الآخر.

البعض رحل بعد أن قضي ما عليه من دين البقاء،
البعض ولى مسرعاً حتى أنني أكاد لا أذكره، البعض أتى
وبقى لكن القدر أبى إلا أن يتم الفراق.

البعض كان على أتم الاستعداد للبقاء، لكنني رحلت..
ومما يدعو للسخرية الموجهة أن من تشبث بهم يرحلون
أولاً وأول من يتشبثون بك ترحل عنهم أولاً الدائرة
مُفرغة وأجدها سخيقة نوعاً ما.

العابرون في ثنايا الروح لا يمضون هكذا، ولا يكون
حضورهم كرحيلهم

العابرون في ثنايا الروح غالباً ما يتركون ثقباً بداخلنا،
ثقباً سوداءً باتساع الفراغ الذي تركوه خلفهم في
قلوبنا، أو باتساع الجرح الذي خلفوه.

كل شخص سيمر بك ويرحل، لن يرحل هكذا سيترك
ندبة ما، لتذكرك دوماً أنه مرّ من هنا..

وكُل ندبة على قدرِ المُسببِ لها، هناك ندبات صغيرة قد
تُشفى مع الوقت هناك ندبات خارجية ولو بدت كبيرة.
وهناك ندبات بعمق القلب، وندبات بحجم القلب
كله.

- ثمة مقربون قرروا دون أي تخطيط يُذكر أن يصيروا عابرون.

فيرحلون مقتلعون معهم جزءاً قطنوا به من القلب.

الليالي الأولى من الفراق تكون الأصبعب والأشد وطأة، الكثير من الدموع والآلام التي تعتصر قلبك دون أي رحمة.

تمر الليالي ويبدأ الوجع في الدمول ويتحول إلى ثقبٍ كبيرٍ سواداً يكاد يلتهم قلبك كله.

الليالي الأولى هي الأشد وطأة في الألم، والليالي التي تليها هي الأشد وطأة في الشوقِ والحنين.

والشوق إن استفحل كاد يلتهمك.

شريط الذكريات سيبدأ في العمل من تلقاء نفسه ولا يوجد أي زر قادر على إيقافه، ولا يمكنك مغادرة المكان، أو الامتناع عن النظر أو سد أذنيك وأما عن إغماض عينيك في هذه الحالة يزيد الأمر سوءاً.

إنها مشاهدة إجبارية للفيلم الأكثر دراميةً وحزنًا ينتج عنه غالباً آلاف من العبرات والتشنجات.

مُقْتَطَعٌ

هُنَاكَ شَخْصٌ مَا فِي حَيَاتِكَ قَرَّرَ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ أَنْ يَقِفَ خَلْفَ
السِّتَارِ وَأَنْتِ تَوَدِّ دَائِمًا وَأَبَدًا لَوْ وَقَفَ بِجَانِبِكَ عَلَى خَشْبَةِ الْمَسْرَحِ
فَلَا هُوَ تَقَدَّمَ لِلْوُقُوفِ مَعَكَ وَلَا أَنْتِ تَرَاجَعْتَ وَذَهَبْتَ إِلَيْهِ.

هِنَاكَ شَخْصٌ فِي حَيَاتِكَ قَرَّرَ دُونَ أَيِّ تَخْطِيطٍ مُسَبِّقٍ أَنْ يَبْقَى
مُرَاقَبًا مِنْ بَعِيدٍ خَارِجَ حُدُودِ حَيَاتِكَ وَأَنْتِ قَرَّرْتَ أَنْ يَكُونَ هُوَ
حَيَاتِكَ حَتَّى وَإِنْ لَمْ يَكُ بِهَا.

هِنَاكَ شَخْصٌ قَرَّرَ أَنْ تَكُونَ فِي هَامِشٍ وَمَسْوَدَّةِ حَيَاتِهِ وَأَنْتِ
قَرَّرْتَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَحْوَرُ وَالنَّصُّ الْأَسَاسِيُّ.

هِنَاكَ شَخْصٌ أَنْتِ قَرَّرْتَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَسَاسُ وَالْمَحْوَرُ وَهُوَ
الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ... وَهُوَ لَا يَرَاكَ.. مِنَ الْأَسَاسِ.

- هل كان عليّ أتجاهلك وأنت الأقرب إلي قلبي، والأعز على نفسي؟
أن أمثل دور الغير مبالية تماماً، وكأني لا أراك من الأساس أو أنك لست
بحياتي، أو شيء أقل من أن تكون هامشي.
لا تعتقد أن الأمر كان سهلاً، قد كان يُمكن أن يكون كذلك إن كنتَ
أنت شخصٌ آخر ليس بتلك المكانة التي أضعك فيها.
أتجاهلك، لا كرهاً فيك أو قلة تقدير، بل حفاظاً على ما تبقى مني ومنك
ومتناً.

الاهتمام لا يُطلب، والتغير أحياناً يصعب السؤال عن أسبابه، وتبقى
البدايات هي الشيء الوحيد الذي يثير داخلنا الحسرة وآلاف الأسئلة
التي لن تجد داخلك رداً صريحاً ومريحاً عليها، بل إن جميعها ستكون
احتمالات ليس إلا.

وفي كل الأحوال.. لن تسأل..
أتجاهلك، لأن التجاهل أحياناً يكون طريقة يائسة للفت الانتباه عسى
الآخر يشعر بشيء ما، بانسحاب ما، فيعود أدراجه كما كان.
أتجاهلك لأنني لازلتُ متمسكةً بالخيط الدقيق جداً الذي مازال يربط
بيننا لأنه خطوة واحدة..

وسينقطع..

- ولأن بعض الأشخاص كالزهور، كنتُ أراقبهم ولا أقطفهم، أكن
بقربهم، استنشقت عبيرهم وأرويتهم بهاء من مودة..
أحلق بينهم كفراشةٍ ولا أمتص رحيقهم كاملاً فيذبلوا.
لأن بعض الأشخاص كالزهور فكان لازماً عليّ أن أكون أكثر رقةً
وأسرع عبوراً بينهم حتى لا يجرحهم شوكي وألا أحجب عنهم ضوء
الشمس.

حينما يصير الأشخاص كالزهور توقن جيداً أنهم ليسوا لك وحدك، وأن
لك ألفٍ وألفٍ شريك .
تدرك حينها أنه يتوجب عليك أن تكون عابراً سريعاً ليس أكثر فتظل
من حين لآخر.

وكتشيء متوقع جدا..

أنني حينما أيقنت جيداً أنهم ليسوا لي حدي.. رحلت .

- ولأني كزهرة صبار نمت في غابة استوائية.
وجَب ذلك عليَّ أن أقلل من احتكاكي بالآخرين
وحين حدث واقتربت منِّي زهرة ربيعية ومكثنا معاً لزمنا ليس بالقصير
دون أي شعور بالغرابة مثلاً أو بالاختلاف كان عليَّ أن أدرك أن الأمر
لن يكون طويل الأمد، فحدث - كما هو متوقع أن شوكي ألم الزهرة..
ولأن الصِّبار الشوك في تكوينه... كان لأبد من فراق ما قبل أن تتفاهم
الجروح ويصعب مداوتها.
كان لأبد من فراق ما يحفظ ما مضى من أيام، ويُجَبَّ المستقبل خلافات
قد تولد جروحاً لا تندمل.
كان لأبد من فراق لأن الحياة تستحيل فجأة أن تستمر بنفس الطريق
الذي بدء.
كان لأبد من فراق لأن قضيب القطار انتهى عند هذه المحطة ووجب
ذلك على الركاب أن ينتقلوا إلى مكان آخر..
كان لأبد من فراق، لأن الطرق التي تشابهت في البداية وسلكتها سويًا لم
تعد تتشابه.. ولم تعد تتقاطع.
توازت .. فقط.

- لأن الطفلة داخلي لم تكن تعي بما يكفي، فلم أكن على دراية أن بعض الأشخاص تدخل حياتك لتقوم بدور حلقة الوصل مع آخرين ليس أكثر.

لم يكن عليّ حينها أن أبتس لخروجهم السريع من حياتي بعد دخولهم الأسرع، ربما لم أفهم حينها أن هذا كان دورهم فقط .
الآن ..

صرت أدرك الأمر جيداً، هذا الذي ولى مُسرّعاً ما كان ليملك أكثر من ذلك صرت أودعه بابتسامة وشكر عليّ أنه قام بدوره عليّ أكمل وجه .
إنهم العابرون سريعاً قدر المُستطاع، المُدرّكين لأدوارهم جيداً، التاركين لأقل ذكريات تُذكر .

لكن العابرون سريعاً ليسوا دوماً جميلين - للأسف - بل تكون سرعة مرورهم أحياناً هي الذنب الذي لا يُغتفر .
بعض العابرين سريعاً نتمنى لو مكثوا أكثر، ولو أننا نُدرك جيداً خطورة أن الأكثر ذلك لن يدفع ثمنه أحد - سوانا ..
العابرون سريعاً جميلون .. عدا عابري القلوب ..

- ولأن الفراق يكتب أحياناً في ذات توقيت اللقاء..

افترقنا.

ولأن ما نحب أحياناً لا نتوقع ضياعه منّا، ولأنني لم أكن بالنضج الكاف
لاكتشف أن الحياة لا تُهدينا الأشياء عبثاً..

فضاعت.

ولأنها كانت كوردة جبلية نمت في الشاطئ كان العثور عليها كالعثور
على كنز..

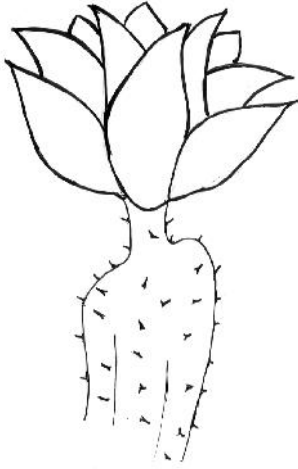
وعندما ضاعت ضاع كنزي، وأيقنتُ أن العثور على وردهٍ أخرى أشبه
بالمستحيل.

ألم أحافظُ عليها؟ لم أضنها؟

لا، حافظتُ، وحاولتُ أقصى ما أستطيع حينها.

لكن الموج أتى عالياً مُدمراً لكل أشرعتي الصغيرة التي بنيتها في عامٍ
ونصف

ولم نمكث طويلاً حتى ضاع كل شيء في غُبار الحياة، وكعادة الأيام ما
يمر لا يأتي مُجدداً ولا يُستعاد.



وآخرون تعرَّوا بي،
كانوا يحسبونني زهرةً
ورديةً ثم أفاقوا على
نغزاتٍ من شوكي

- وآخرون تسببتُ لهم بالأذى..

لأنني لستُ ملاكًا أبدًا، فيبقى الأذى أذى وإن لم يكن مُتعمدًا.
وتبقى ندوب الروح ندوبًا عالقة ما عاشوا وما ذُكرت أمامهم..
ولأنني أكتب..

لأنني حادة الحواف - أحيانًا -

أدرك جيدًا أن الحروف تستحيل أسهًا تعرف طريقها مُسبقًا إلى القلب.
فتصيب الهدف دون أي خطأ.

قد لا أتمكن من أن أحصى كم سهًا أطلقتُ دون قصدٍ أو بقصدٍ
ولا أدري كم قلبًا جُرح.

وكم من الدماء سالت دون أي آثار لها.

لكنني أوقن جيدًا أنني تركتُ ندوبًا في قلبِ أحدهم، وإن كان أحدهم
فقط.. وإن كان شخصًا واحدًا فقط..

فسلامٌ عليهم، ولهم.. طابت قلوبهم .

- ولأن المحبة لا تُستجدي..

جعلني ذلك أفرِّمَن كنت عندهم الأعلى والأنتقى والأقرب إلى القلب.

أكانت قسوة؟ كان خوفًا؟

لا..

كان جَزَعًا من أن أوضع بمكان ليس لي، أو لا أستحقه، أو أن يتم
وضعي بمكان لا أضع به أحد..

ولكن أيا ما كان وما قد يكون، أشعر أنني قتلت كل من أحبوني ولم
أحبهم، وكأن كان جزاؤهم مني على حبهم... أن أقتلهم.

وأسأل نفسي : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

أنا لم أحسن إليهم ولو بمنظورهم هم فقط، لكنني أحسنتُ إليهم برحيلي
عنهم لأن بقائي كان ليؤذهم أكثر.

هل تفهموا الأمر؟

لا أدري، لكنني أوقن جيدًا أن الرحيل كان الحل الأكثر صوابًا رغم كل

شيء

الرحيلُ قدرٌ، وكوني صرْتُ بالنسبة لهم عابرةً سريعةً كان قدرًا أيضًا.

إِنَّهُمْ الْقَرِيبُونَ دَوْمًا الْبَعِيدُونَ أَغْلَبَ الْوَقْتِ.

إِنَّهُمْ مِنْ نَخَافُ قُرْبَهُمْ وَنُرِيدُهُ، وَنَخَافُ غَضَبَهُمْ،

وَنَتَوَقَّعُ لِرِضَاهُمْ.

إِنَّهُمْ الضُّوءُ الَّذِي يَمَلَأُ حَيَاتِنَا، وَالظُّلَامُ الَّذِي نَصِيرُ بِهِ

إِنْ اخْتَفَوْا..

إِنَّهُمْ تِلْكَ النُّجُومِ الْمُتَوَهِّجَةِ الَّتِي تَتَرَاءَى لَنَا فِي أَيَّامِ

الْوَحْدَةِ لِتُرَبَّتْ عَلَيَّ أَكْتَفَانًا مُؤَكَّدَةً أَنَّنَا لَسْنَا بِمَفْرَدِنَا

وَإِنْ كَانُوا أَبْعَدَ مَا يَكُونُوا عَنَّا.

- لأن الدائرة مفرغة وسخيفة، ولأننا أحيانًا لا نختار العابرين بنا،
ولأن البعيد دائمًا ما يظل ذو النكهة الأشهى وإن لم نذقه، شيء أشبه
باشتهاء المحرّمات.
لأن البعيد مرغوب به..
فحين غاب..
سجّل بغيابه حضورًا..
لأننا مركزين لدائرتين بعيدتين، لم تتقاطعا، ورفضت كل واحدة أن
تقتطع منها وتجاور الأخرى.
لم يكن محيطًا بدائرتي، ولا على حوافها، لم يكن عابرا بي، ولم أكن عابرة
به.
لكني وددت لو تعثرتُ به أو تعثرتُ بي، أو أحدثنا ارتطامًا نجميًا يخلف
دويًا عاليًا.
كان بعيدًا..
غريبًا.
وقريبًا..
وشبيهاً .. لكنه أبدًا لم يكن عابرا .

ولأننا لا نختار العابرين بنا،

تمنيتُ لو تسنَّ أن يكون لي الخيرة في الأمر

أو أن يكون بمقدوري أن أحو آثارهم العالقة بالروح..

فياليتهم لم يعبروا، أو كُنت أغلقت بوجوههم كل الأبواب.

وأقول ..

ياليت وحدتي، وألمي، وحزني، ووهني وهواني على الناس،

وضعفي وقلة حيلتي وبكائي وحساسيتي المفرطة من

العابرين سريعاً بي..

فلا يتركوا أثراً .. ولا سببوا جروحاً.

IV

مَا لَمْ يَجْلِبْهُ الْوَاقِعُ لِي

فَجَلِبْهُ الْخِيَالُ

الليلُ مسرحٌ خاصٌ للحالمين، والخيالُ نعمةٌ لا تُقدرُ بثمن
عرفانًا بالجميلِ لخيالاتي وكُلِّ أدوارِ البطولةِ التي قُمْتُ بها و
للمسرحِ الذي لا يدخُلُهُ أحدٌ إلا بإذني

مُفتَح..

لي ظلُّ لا يُشبهني..

أطول مني كثيراً وأنا قصيرة وأكاد لا أظهر، وأجرأ مني كثيراً وأنا بي جُبْنٌ مُستوطن.

يُرافقني طوال النهار ولا يحب إلا النهار، ويتركني ليلاً، وأنا أحب الليل وأهابه، حُزني يتوهج ليلاً..

لي ظل لا يُشبهني، رافقني طوال عمري الماضي، ولم يتركني أبداً.

له صوت رخيم يتغيَّرُ أحياناً وبه بحةٌ تُسقطُني سهواً في شباكه.

لي ظل لا يُشبهني، أكثر سُمرَةً مني وأنا بيضاء، يده كبيرة ويدي صغيرة

لي ظل لا يشبهني وحيد مثلي تماماً، يرتدي نظارة
كنظارتي بحدود سوداء تُخفي ألماً، ووهناً وحرزناً.. وحباً
وحناناً.

يا الله...

كم يُشبهك ظلي..
كم يُشبهني ظلك..

وقد كان عليّ أن أعيش معك ولو بأيِّ مكان

وإن كانت أحر في

وأن يجمعنا أي شيء.. وإن كانت صفحة من كتاباتي..

لم أحصل عليك بواقعي..

فكُتبتُك..

فصرت لي..

- في لقاءنا الأول أهديتني ثلاث قطع من الحب، ثلاث مُتباينات.
القطعة الأولى : كانت قصيدة تحمل اسمي الذي لم أُسمَى به.
القطعة الثانية : كانت وردة زرقاء فاقع لونها ، أسرتني وأسرتني .
والقطعة الثالثة : كانت نظرة من عينيك إجابة لسؤالٍ لم أسأله، فأرحتني
في لقاءنا الأول ..

كُنَّا مُتَمًاثلان في العمرِ، أَسْبَقُكَ بشهرين في الحب، وتَسْبِقُنِي بثلاثة أشهرٍ
في الشوقِ.

أَسْبَقُكَ بعامٍ من كبرياء، وتَسْبِقُنِي بعامٍ ونصفٍ من الخوفِ .
في لقاءنا الأول ..

التقطنا صورة للتوثيق، لم يظهر أحدٌ منَّا بها، ظهر أثنين آخرين شبيهين
بنا جدًا لكن لسنا نحن .

كانا يبدوان مُتشابهان جدًا أقرب للأخوة منها للرفقة، يرتديان ذات
الألوان أو للأقرب ذات الملابس - مصادفة - ليس إلا، يبدو عليها ألفة
لا تليق بلقاء أول أبداً .

في لقاءنا الأول . كنا في شتاءٍ لم يأت بعد، قُبيل مولدي بلحظات .

في لقاءنا الأول .. لم أحضر، ولم تأت .

- في موعدنا الثالث بعد الألفين، الخامس عشر بعد الأخير ، أسقيتني
شعراً ليس كمثل أي شعر، ومسحت على وجعي ثلاث مرات..
فشُفيت..

واختفى من ذاكرتي كل ما كان يؤلم، وأهديت لي ذاكرةً جديدة لا تحوي
شيئاً سوى صور لك من قبل أن نلتقي.
نقشت في يدي حروف اسمك الأولى التي حفرت بقلبي من قبل أن أولد
في موعدنا الثالث.

أوصيتني بنفسِي، وبك، حدّرتني من النسيان، وقرأت ما بك من خوفٍ
من الغياب الذي تدرك جيداً أني أتقنه..
فهدأت من روعك..
" قد غبتُ عنهم جميعاً، لأشرق عندك ".
في موعدنا الثالث.

سألتني الغفران على الغياب، فعفوتُ عنك، سألتك حياة سرمدية بين
عينيك
فلبّيت.

- في حفل توقيعى الذي لم أقمه كنت جالساً أمامى .

أقرأ :

«والحمد لله الذي وهبني حيك على الكبر، ربّما لو كنتُ أصغر ما تحمّلتُهُ»

أنظر إليك ..

عيناك لا تُدركان شيء سواى، وأكاد أتفوه بها علناً هذا هو القابع أمامى
والقابع داخلى والقابع بكتاباتى ..

هذا هو مُشعل النيران، ومفجر الثورات والمنادى الأول للسلام داخلى .

فى حفل توقيعى الذى لم أقمه، لم تول شطرك إلا ناحيتى أنا فقط، وكنتُ
أنا ككعبتك وأنت الطائف الوحيد حولى رغم الزحام .

وعلى الرغم من ذاك الزحام أكاد لا أرى سواك، وأكاد أجزم أن كل
الذين لم يحضروا أدركوا جيداً أنك " العظيم جداً والسارى بالدم،
بالقلب وبمحاذاته " .

وأن كل التوقيعات التى كتبتها على نُسخهم ما كانت سوى تغزلاً بك،

وأن كل الأسماء التى كتبتها تلك، ما كانت إلا رسوم لا تؤذى المعنى ولا
تؤثر عليه .

- في لقاءنا الأخير..

كان سبب عتابنا الأكبر عن كل ما لم يحدث بيننا، وكل الذكريات
الشارغة منا، وكل صورنا المملوءة بآخرين سوانا، وكيف أنه لم يجمعنا
ولو صورة؟

في لقاءنا الأخير كان الموعد لتحقيق المُبتغى، كنتُ بحاجةٍ لضممةٍ تُعيدني
للحياةٍ وكنتُ بحاجةٍ لبكاءٍ هادئٍ على صدري.

في لقاءنا الأخير، بدا وكأن الأرض قد شغرت تمامًا فيما عدانا

أخبرتني: لا بأس.. أكتفي بك..

أخبرتُك: لا بأس.. أكتفي بك.

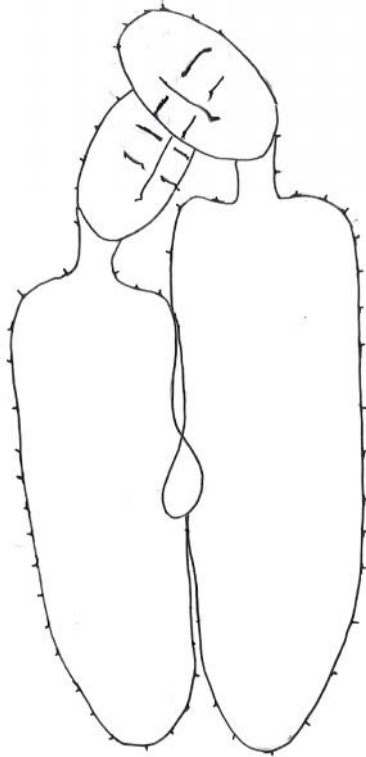
ولم يكتفي أحد منا من الآخر.. أبدًا.

في لقاءنا الأخير كان علينا أن نصحو - أخيرًا - من غفلتنا التي طالت.

في لقاءنا الأخير..

لم نودع بعضنا البعض، ولم يمض كل منا بطريقٍ معاكسٍ للآخر، بل

سرنا بمحاذاة بعضنا البعض واليد باليد.



ما لم تنشره الصحف عن نبأ موتي

كتبوا..

لقد قالت :

لن أموت أبداً، كذبت، وهي بين الترابِ الآن..

بل كذبوا..

وكنْتُ من الصادقين ..

أنا لم أمت ..

لا زالت أنفاسي تنبض بكل قلبٍ يقرأ أحرفي ..



قلتُ في مرةٍ «لا تُعجبهم
حروفك، بل أوجاعك»
لم يفهموا أبدًا ما كنتُ أرمي
إليه.

- في الخبرِ الأول :

كتبوا بالصفحة الرئيسة. «لا يُمكن أن نُنكر أنها تركت أحرفٌ مُحترَم، إلا أنها كانت بالقسوة التي تمحو كل شيء»

«فقد العالم اليوم القلب الأكثر جفاءً وقسوةً وتحجراً»

كذبوا .. واتهموني ظلماً وعدواناً..

أهذا كل ما توصلوا إليه؟

كالأعين التي لا تبصر ، والقلوب التي تنبض فقط، والعقول التي تشغُر
حيزاً من الرأس لا أكثر.

أن تُنعت بالجفاء أقل وطأة من أن تُنعت بالنفاق، وأن تُذكر بسوءٍ أفضل
من ألا تُذكر.

ألم يأتهم أي نبأ عمماً بداخلي؟ ألم يُساورهم أي شك حيال الأمر؟ ألم
يُدرِكوا أن الخبيات لا تُروى؟ وأن الجفاء ما هو إلا الجذع المُتبقِي من
النبتة التي لم تجد ماءً فذُبلت وتساقتت أوراقها وهاهي تحاول باستماتةٍ
أن تبقى على قيد الحياة ولو كجذعٍ مُتَشققٍ وحيد .

- في الخبر الثاني :

رفعن دعوة ضدي واتهموني بأني قتلْتُ الرجال جميعاً..
وأني اغتصبتُ كل أحلامِ الفتياتِ بالزواجِ منهم وأني كنتُ سبباً غير
مُعلناً لرفعِ سقفِ كفايتهم.
فلَمَّا كانت الأرضُ كرويةً ، ولَمَّا كانت حياتي كدائرةٍ ، ولما كانت الحقيقة
كالبدر لا تُرى إلا في الظلام ولا يُرى منه إلا الجزء الذي نريد أن نراه لا
الذي يُريد هو أن نراه.
لأنهم أصرُّوا على ما فعلوا وما صاروا نادمين ، وأبوا أن يروا الحقيقة
كاملةً أو من منظور الآخر واكتفوا بما يظهر لهم فقط ، لم يكلفوا عناءهم
لأن يكملوا الدوران ليروا ما خُفيَ عن أبصارهم.
فألَقوا بأخطائهم ونقصانهم عَلَيَّ ، فما حملته وما تهاويت لكني عشتُ
كمتهم بوزرٍ لم أقرِّفه ، أما عن أحلامهن؟ أحلامهن هي التي انتحرت
على أيديهن حينما قررن أن يكونن مضافاً إليه.. فقط.. مفعولاً به..
فقط..

وزادهم الأمر نفوراً مني ، وسلبوا مني مُتعة أن يكون لي خليلاً ولو عابرةٍ
فصار العثور عليها كالعثور على كنزٍ .

- في الخبر الثالث :

اتهموني بأنانيةٍ وتكبرٍ وغرورٍ..

تكبدوا عناء الكتابة عني لكنهم أبدًا لم يتكبدوا عناء التفكير أو الإدراك
أو حتى التأكد مما يقولون.

فألقوا بسهامهم دُفعةً واحدةً على جسدي المتهالك.

كمثّلِ المقتنع بأنك سرقتَه وما سرقتَ، وما وجد شيءٍ بجبعتك وما دليل
لديه، ولا دليلٍ لديك، إلا أنه يظل مُصرًّا على رأيه، هكذا فقط، لأجلِ
ماذا؟

لأجلِ أنه يأبى أن يرى، أو يسمع، أو حتى أن يكون موضوعياً فلا يتأثر
بكلامٍ غيره.

لأجلِ لا شيءٍ ..

ولأجلِ ذلك، لا أرى أية أسبابٍ قد تدفعني لأبرء نفسي، أو أتكبد عناء
في إيضاح صورةٍ لم يحاول الآخر أن يراها من الأساس.

فلا داعي ..

لا داعي ..

- في الخبر الرابع :

قالوا لم تحب أحد أبداً، لم يدركوا أنني متُ بفعلِ الحب، وأنه حينما انتشر بأوصالي .. دَمَّرني !

و أن بعض أنواع الحب كالمرض إن لم يعالج في بدايته، استفحل وصعُبت مقاومته ..

لم يُدركوا أن العِشْق حين تمكَّن مني خارت قواي ولم تعد قدماي تحملاني وأن الذي عِشت أهربُ منه طيلة حياتي ما كان إلا أول خيط نهايتي .

وأن العِشْق لا يُلائمني ولا الأئمه .

وأن عقلي الطاغِي الذي كرهوه وكنت أسأم منه - أحيانا - كان على حق في كل ما قاله وكل ما حاول أن يُبعِدني عنه .. وكان هو أكثر من عرفني دون العالم أجمع .

لم يدركوا أن الحب رفاهيةٌ قلبي المُهشم لا يتحملها .

- في الخبر الخامس :

قالوا : كانت تتفلسف دائماً، ترى أنها لا تُخطيء، وجريئة حد الواقعة.
كنت أدرك منذ البداية أنهم مُتربصون بي وإن كنت لم أجد أي سبباً مُقنعاً
لذلك.

النبأ في هذه المرة لم يُفاجئني أبداً.. لكن
في حالة كهذه لن يتطلب الأمر إثباتاً، سيأتي المؤيدون من كل فجٍ عميق
ليشهدوا على ما فعلت.

أرأيت الذي يُصادفك ثم إن انقلبوا عليك انقلب؟
أرأيت الصامتُ في عقر داره لا يحرك ساكناً لكنه حين يدعونه ليشهد
بغير حق فلا يلبث مليبثاً النداء.

أرأيت إن تبدلت الأدوار وانقلبت ولم تجد من يؤازرك؟
بل أرأيت إن ترصد أحد للآخر ولم يعد يتقبله، فقط لكونه مُختلفاً عنه
ولو اختلاف لا يؤذه ولا يمسه بسوء.

أرأيت إن اختلفت الأسماء، وساد الجبن فصار الذي لا يخاف ويفتح
فمه.. وقحاً.

أرأيت؟ لا ترى؟ انظر إلي.. ماذا ترى؟

*

كان عليّ أن أغادر الحياة لأنها لم تتسع لخبياي.

*

انقشوا على قبري

عاشت بالحزن..... وماتت شهيدة لأجله.

*

ولما رحلت، ولما بدا لهم أن لا رجوع لي، ولّوا مُدبرين إلى
حيواتهم لكنني كنتُ أدركُ أن حساباً ما لن يتركهم لسبيلهم
بسهولة، وأن ذكريات ما وأحداثٍ ستزورهم كثيراً وأن ندماً
سيعترتهم ونوماً سيفارقهم، حينها فقط.. سيدركون أن ثمة
آلاماً كثيرة سببها ولم يداوها، و سيتمنون لو أن الموت ترك
لهم مُتسعاً أكبر فيكفرون عن آثامهم في حقي

*

V

خمس رسائل للإمبراطور فسبسيانوس*

* الإمبراطور فسبسيانوس هو الإمبراطور الروماني التاسع حكم ما بين عامي ٦٩ و ٧٩.

ويظُلُّ ما يَنْقُصُنَا

هو أَكْثَرُ شَيْءٍ يَؤُرِقُنَا

ويُذْهَبُ عَنَّا النُّومُ

الرسالة الأولى :

عزيزي فيسبسيانوس .. هذا كتابي إليك ..

أكتبُ إليك من قوِعتي المظلمة، وحيدةً في ظلامٍ يكادُ يتلَعُنِي رغمُ
مُقاومتي ..

أكتبُ إليك لأن الكتابةَ أحياناً ما تكون حلاً أو سبيلاً لا تدري مدى
جدوته لكن لا تملك إلا أن تخطو إليه ولو مُثقالاً، لأن الكتابةَ أحياناً ما
تكون درباً أخيراً نسلكه ولو كنا لا ندري له نهاية.

إن الحياةَ ضيقة جداً، للحد الذي يكتُم الأنفاس أحياناً.

ولأن في أوجِ ضيقنا يتوهج ما ينقُصنا بأنه سبب الآلام جميعها وأن
وجوده كان ليمحو آثار الأوجاع وإن كان ذلك ظاهرياً فقط، أو أننا
نُلقي بأثقالنا على عَلتنا مع يقيننا التام أن الأمر وإن تبدل بوجوده فلن
يكون وردياً ومزهِراً للدرجةِ القصوى وإن حدث فإن الأمر لن يطول
للأبد، لكن هذا لن يُخفف من وطأة الأمر، ولا سيقبل من افتقادك ولا
شعورك بالنقصان أو شعورك بأنك

« مثقوب ».

الرسالة الثانية :

عزيزي فيسبسيانوس، صباح الأرق، أكتب إليك في صبيحة الخيبة،
لعشية فقدان..

اليوم ينتابني حنين إلى كُلِّ الحيوانات التي لم أحبها بعد وتراءت لي من بعيد فحسبتي سأحيها، ولما اقتربت علمتُ أن ما رأيت ما كان إلا سراباً نتج عن عين غريق لا تبصر جيداً، وروحي التي كانت على شفا خطوة من الحياة ماتت مجدداً وأخرجت له شهادة وفاة، أحصي كل الشهادات التي لدي لم لدي شهادات وفاة كثيرة وشهادة ميلاد واحدة؟ حتى كل محاولاتي العابثة للنجاة باءت بالفشل.

أقول: "علينا إن نُضفي بعض الحياة على الموت الذي نعيشه"
كيف تكون تلك بالحياة إن كنا نحذر ونخاف كل شيء؟ مما سأشكو لك؟

أمن اليأس؟ أم من كل الأمنيات التي لا تُطال؟ أم من انسداد الطرق؟
أم من المسافات التي لا تنحسر؟ أم من شبيه الروح الذي لا يوجد له أثراً؟

من الموت الذي صار يحيط كل شيء؟ ربما من أشباه الأصدقاء
أو من إرهاق العلاقات واهترائها، ربما عن ندوب الروح وغياب
الشغف عن كل شيء .

الرسالة الثالثة :

عزيزي فيسبسيانوس، أحدثك اليوم من مهجعي الذي فارقه النوم
لأيام دون معرفتي لأي سبب يُذكر، أكتبُ لك اليوم عن ثقبٍ أسودٍ
يؤرقني في قلبي ويزداد حجماً كل يوم ... ثقبٌ يدعى الحزن..
فالحن يا عزيزي لا يستوطن إلا فئةً خاصة ..

إنهم الحزينون ذوي الأرواح المُثقلة، الفئة الحزينة من الكتّاب خاصة
الآسفون لأنهم يرون كل شيء، يُلاحظون كل شيء، الراغبون بالاندثار
المتمنون للتبخر وأن يصيروا سحاباً يُمطر فيسبب بهجةً لأحدهم ثم
يختفي كل شيء ، إنهم ذوي الأوجه المُختلفة، الظاهرون لعكس ما
يضمرون، الراضون لأي انحناءة قد تظهر رغم انكسار قلوبهم.

المكبلون بقيود لا يراها سواهم، القُراء الذين يتمنون لو لم يقرؤوا، لو لم
يعرفوا أشياء جعلت كل شيء مختلف، الذين يرون أن المعرفة أحياناً ما
تكون نقمة، وأن العلاقات تُثقلهم فيفرون هارين منها.

الراغبون بأن يكونوا أكثر تفاهةً، أو أن يصابوا بفقدان الذاكرة.
أولئك الواقفون في المنتصفات، الذين صارت كل مُلهيات الحياة لا
تُجدي نفعاً معهم لأن الثقب بداخلهم في اتساع، البقعة السوداء تكاد
تلتهمهم .

المخدولون، الآملون في وحدةٍ وعزلةٍ لا يشوبها شائبة ..

الرسالة الرابعة :

صباحُ الخير من البقعة السوداء التي لا يشوبها أية شائبة فتظل سوداء
حالكة مُظلمة وظالمة ..

لك اليوم عندي في جُعبتي ثلاث مُفرِّقاتٍ، ثلاث نقط سود

النقطة الأولى : خذلان ..

كأن تُمطر خذلان يتساقط عليك فلا تجد مأوى أو نُصير، تبتل حتى
أحشاءك

لا مُنجد ولا مُساعد، ولا صوتك قد يصلُ من الأساس .. يتوغل
داخلك، يُميت الحي ويدبل المُتفتِّح، ويجف المزهر ..

فتمضي مكسور الجبين، مكسور القلب والظهر، تلك الانكسارات التي
عليك أن تعي جيدًا أنها لن تُشفى كاملةً - أبدًا ..

هناك خذلان لا يقبل القسمة على اثنين أو أكثر، فتحملة وحدك كوزر
اقترفته يداك ، فيكسر ظهرك، فتبدو كبعير أعرج هزيل لا يقوى على
شيء .

الخذلان مؤلم، واللحظة التي تمضي لا تستعاد ولا يمكنك التحكم
بالوقت ولا بتصرفات الآخرين، لا يمكنك أي شيء، حتى أنك لا
تستطيع أن تتحكم في الأمر فلا تُخذل .

تتمنى لو كان كابوساً وأنك على وشك الإفاقة، تتمنى بينك وبين نفسك
ولو بدا التمني شيطانياً.. " ربّما لو كان ميتاً لكان أفضل " .. هل تبدو
فكرة سيئة؟ لا هي كانت تمناً أخيراً للحفاظ على آخر ما تبقى من
الصورة السابقة، كآخر صورة جيدة قبل أن يلوثها الخذلان بيديه..

النقطة الثانية : بوح ..

البوح الذي يؤلم لا يُغيّر من الأمر شيئاً، بل يُزيد الطين بللاً، يزداد الحملُ
أضعافاً، تشعر بالعُريِّ ولا شيء يستر عورتك ولا يدُ تُساند ولا قلب
يشعر، تكادُ تندثر، لكن كل شيء يُبقيك على قيد الحياة.. أو الموت !

الكلمات كالأسهم، وليس فقط التي تستقبلها من الآخرين تؤلم، بل إن
بَوْحك يُسدد الأسهم لا إرادياً للقلب الأقرب ألا وهو قلبك.

القلوب التي لا تسمع، الأعين التي لا تُبصر، وقلبك المسكين المعلق بندمٍ
لبوحٍ نشد منه شفاءً فزاده وهناً..

النقطة الثالثة : وجع ..

الوجعُ ليس ألماً، أو حُزناً، إنّه مرحلة أرقى تجمع بين الاثنين بين ألم الروح
وألم الجسد، الوجعُ لا يأتي من العدم، لكنه يأتي من خذلان من رحيلٍ من
بوحٍ وانكسار وكسرة ..

والوجعُ أيضًا لا يرحل من عدمٍ بل يرحل من الروح، أو ببعضٍ منها بعد
أن ينخرُ فيها، يمتص رحيقها كاملاً.. ثم يتركها تموت.

الوهن، الانكسار، وكسرةِ الأعينِ والصُّراخِ الذي لا يُغادر الحلق ولا
يسمعه أحد، الأنين بين الأضلع المنهزمة.

راية الاستسلام التي حاولت مراراً ألا ترفعها .. فخذلتك هي الأخرى..

الرسالة الخامسة..

عزيزي فيسبسيانوس..

مساء الخير من الشُرفة التي لا يُطلُّ عليها أحد، من أعلى المزهرة التي لم
تزينها أي وردة فانكسرت، من الكرسي الشاغر عمدًا من الآخرين فكّرهِ
حياته وانتحر..

مساء الخير من البقعة المباركة لزهرة على الحائط..

مساء الوحدة.. مساء الغربة.. والاعتراب

مساء الآلام التي لا تبرأ لأنها لا تجد يدًا تُربّت عليها..

فألا تكون إلا بمفردك في المنعطفات وتحت المطر، في الخذلان والخيبات

أن تكون روحك غريبة بينهم، كأن تكون في آب وتشعر بالبرد..

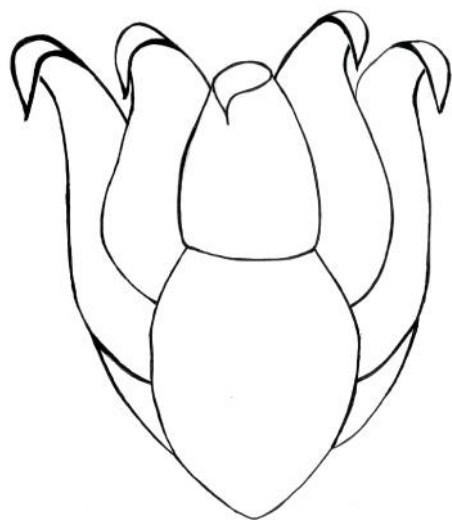
كأن تكون في أزحم بقاع الأرض وأنت وحيد، كأن تكون في وطنك، في

بيتك ولازلت تستشعر غربة.. فلا يشعر بك أحد، ولا تشكو لأحد..

كأن تكون وحيدًا جدًا إلا من وحدتك..

يتراءى لي الآن أنها رسالتي الأخيرة، أرفقت بها صورة لي.. للذكرى.

وداعًا..



خاتمة ...

كَمْ يَلْزُمُنِي مِنَ الْوَقْتِ ... لِأَعْتَرَ عَلَيْكَ؟

لَتَرَانِي؟

لِنَلْتَقَ؟

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنَ الْوَقْتِ لِتَضَّحَ طُرُقُنَا؟

لَتَمِيلَ حَتَّى يَكُنَ الْلِقَاءُ..

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنَ الْفَقْدِ لِنَمْتَلِكَ؟

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنَ الْجُهْدِ وَالْأَلَمِ وَالْحُزْنِ وَالْوَجَعِ وَالْحَيْنِ.. لِنَرْتَاخَ؟

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنَ السَّيْرِ وَحَيْدِينَ... لِنَجْتَمِعَ..؟

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنْ خَدْلَانِ.. لِنُجْبَرَ.

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنْ خَوْفٍ.. لِنُؤْمِنَ؟

كَمْ يَلْزُمُنَا مِنْ شَوْكٍ.. لِنَحْصَلَ عَلَى وَرْدَةٍ؟

كَمْ يَلْزُمُنِي مِنْ حُرُوفٍ لِأَعْبُرَ عَنْ حُبِّكَ؟

كَمْ مِنَ الصَّفَحَاتِ يَلْزُمُنِي أَنْ أَكْتُبَ.. لِتَأْتِ صَفْحَةُ الْلِقَاءِ؟

٢٣ ديسمبر ٢٠١٣

مَحَبَّةٌ وَامْتِنَانٌ ..

مَحَبَّةٌ وَامْتِنَانٌ ..

لأُمِّي وَأَبِي لِتَحْمَلَهُمَا رُوعَوتِي أَحْيَانًا وَتَقْصِيرِي كَثِيرًا.

أُخْتِي - مُعْتَز

*

لِلوَرْدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَفْتَحَانِ مَوْخِرًا فِي بَسْتَانِ حَيَاتِي الْمُقْفَلِ عَمْدًا
«نور» «إيناس»

*

وَأُسْتَاذِي «إبراهيم عادل» لِتَحْمَلُهُ عَيْشِي وَفَوْضُوتِي، وَأَرَاؤُهُ الَّتِي لَا غِنَى لِي عَنْهَا

*

لِلَّذِينَ آثَرُونِي بِأَرَائِهِمْ فِي أَنْفَاسِي الْأَخِيرَةِ فَمَا بَرِحُوا حَتَّى اسْتَقَامَت

خَطَوَاتِهَا وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهَا .

*

حَبْرَةٌ لِإِسْرَائِيلَ

الفهرس :

- إهداء..... ٦
- I- دوران..... ٩
- تشرُقُ ١٠
- دوائر معلقة..... ٤٢
- II- سمع الله لم حمده..... ٦٢
- III- عابرون ٦٨
- IV- ما لم يجلبه الواقع لي فجلبه الخيال..... ٨٥
- V- خمس رسائل للإمبراطور فيسبيانوس ١٠٤
- خاتمة ١١٥

هذا كتاب بثتُ فيه من روحي .

مروة الإتربي :

صديقةٌ موسميَّةٌ وحببيَّةٌ كالشتاء..

صدر لها :

رسائل ممنوعة. رواية. عن دار أكتب ٢٠١٣

هذيان " كُتِّبَ " - نشر إلكتروني - يونيو ٢٠١٣

ضي. نشر إلكتروني - أكتوبر ٢٠١٣

غياب. نصوص. نشر إلكتروني - إبريل ٢٠١٤

الرسوم الداخلية : مروة الإتربي

للتواصل :

<https://www.facebook.com/aynak.kadary>

<https://www.facebook.com/Marwa.M.Eletriby>

https://twitter.com/Marwa_Eletriby

<https://www.goodreads.com/author/show/6525645>

*

الحياةُ ليست رمادية

أو سوداء،

فقط

لا يوجد ضوء.

*